روائع الشعر الروسي في القرن العشرين

نقلتها عن اصلها الروسي آزا حديديان
اعدّ النص العربي فالح الجواهري

الكساندر بلوك (١٨٨٠-١٩٢١)

الاثنا عشر

(١)

ليلٌ اسود .
ثلجٌ ابيض .
رياحٌ ، رياح !
لا يستطيع المرء ان ينتصب على قدميه .
رياحٌ ، رياح
على ارض الله بأسرها .

تتلوى الريح .
نُدَفٌ بيضاء .
تحت الثلج جَمَد ،
متصلّبٌ ، زَلِق —
بردٌ يسود
تزلُّ قدماكَ ، اسفاه .

من بناية لبناية
يمتدّ سلك .
على السلك راية :
« السلطان للجمعية التأسيسية ! »
امرأة مسنّة تولولُ ، تصيح
لا تفقه معناها :

ما نفعُ هذه الراية
هذه الخرقة الهائلة ؟
تكفي لتدفئة حشدٍ من الاطفال
العراةِ الحفاة .

المرأة المسنّة كدجاجة
تترنح فوق الثلج المتراكم .
« اسعفيني ، امّ الاله !
يطاردنا البلشفيون حتى القبور ! »

رياحٌ كالسياط !
والصقيعُ ليس اخفّ !
البرجوازي في مفرق الطرق
يدفن انفه في ياقته .

ومَن ذاك ؟ — شَعره مسترسلٌ ،
وصوته خافت :
« الخونة ! »
« لقد انتهت روسيا ! »
كاتبٌ ، لا شكّ —
او خطيب .

وهناك ، بتنّورةٍ طويلة ،

يسيل في كومة الثلج ....
« علام العبوس في هذه الآونة
أيها الكاهن ، يا رفيق ؟ »
« هل تذكر كيف فيما مضى
كنت تمشي خلف بطنك
والصليب من فوقه يشع
على الناس ؟ »

وثمة امرأة ترتدي الفراء
تحادث اخرى :
« كم بكينا وبكينا ... »
وتنزل تهوي
على وجهها — طب !

آي اي
اسحبوها ، ارفعوها !

انمرحة الريح ،
الموبة ومغضبة ،
تعبث بالتنانير
تحصد المارين
تجعد الراية الضخمة
تمزقها تجرفها بعيدا :
« السلطان للجمعية التأسيسية ! »
وتحمل العبارات :

« ... نحن ايضا عقدنا اجتماعا ...
... هنا في هذه البناية ...
... بحثنا في الامر
واتخذنا قرارات :
عشرة لفترة قصيرة ، خمسة وعشرون
للتلة كلها ...

... لا نقبل بأقل من هذا — من اي انسان ..
... هلم الى الفراش ... »

في آخر الليل .
الشارع خال .
متسول وحيد
قابع هناك .
والريح تصفر .

« ايها المتسكع المسكين ،
آ تعال —
ولنتعانق !

هاك خبزا !
ماذا هناك في الامام ؟
هيا ! »

سماء سوداء سوداء !

حقد ، حقد اسيف
يغلي في الصدور ...
حقد اسود ، حقد مقدس ...

ايها الرفيق انتبه
افتح عينيك !

(٢)

الريح تلف ، والثلج يدوم .
اثنا عشر رجلا يتقدمون .

اقشطة البنادق سوداء .
انوار انوار انوار في كل صقع ...

بين اسنانهم اعقاب لفافات ، وقبعاتهم مجعلكة ،
شارات المساجين تناسب ظهورهم .

الحرية ، الحرية
آآ لكن من دون صليب

طاخ طاخ طاخ

« الطقس باردٌ ، باردٌ ايها الرفاق .

لكنما فانكما في خمارة مع كاتكا .
كلساتها محشوّة باوراق النقود ! »

« فانكا نفسه ثريٌ الآن .
كان واحدا منا ، لكنه التحق بالجيش » .

«فانكا، يا ابن الكلب، ايها البرجوازي ،
ان حاولتَ ان تقبّل فتاتي ! »

الحرية ، الحرية
آآ لكن من دون صليب
كاتكا مشغولة مع فانكا —
ما الذي يشغلهما معا ؟

طاخ طاخ طاخ

انوارٌ انوار انوار في كل صقع
وعلى اكتافهم اقشاطُ البنادق .

سيروا بخطىً ثورية .
العدوّ لا يكلُّ لا ينام !

امسكْ ببندقيتك ايها الرفيق. لا ترتعبْ !
ولنطلقْ رصاصة على روسيا المقدسة !

على روسيا الراسخة
ذات الاكواخ الخشبية
والضخمةِ المؤخرة !

آآ من دون صليب !

(٣)

عندما انطلق اولادنا
ليلتحقوا بالحرس الاحمر ،
ليلتحقوا بالحرس الاحمر ،
ليقدموا رؤوسهم الطائشة —

حزنٌ مرير
حياة حلوة !
معطفٌ خلِق
بندقية نمسوية !

لنغيظ البرجوا
سنشعل النار في العالم كله ،
نارا من الدم في العالم كله —
بركاتٍ منك يا ربّ !

(٤)

الثلج يدوّم ، والحوذيّ يصيح ؛
فانكا وكاتكا يمرّان كسهم —
النورُ من عمود الكهرباء
يشقشق على عريش العربة ...
آآ طأطئا رأسيكما !

على ظهره معطفُ جنديّ
وسيماؤه سيماءُ ابله
يفتّل ، يفتّل شاربيه الاسودين
يبرّمهما
وينكتّ .

ذلكمْ فانكا — عريضُ المنكبين !
ذلكمْ فانكا — مكثارُ الكلام !

يعانق الخرقاءَ كاتكا ،
يسلب اللب منها .

وترمي رأسها الى الخلف
اسنانُها لآلي تشعشع ...
آه كاتكا ، كاتكاي انا ،
ذات الوجه الممتلي .

(٥)

على عنقكِ ، كاتكا ،
نُدبُ جرحٍ من مدية لم يلتئم .
تحت صدركِ ، كاتكا ،
ذلك الخدشُ لا يزال طريا .

آه ارقصي ، تبختري !
ساقاكِ حلوتان !

اثوابكِ التحتانيةُ من دنتلة —
تمشّي ، تَمَشْوَري !
مع الضباط كنتِ تفسقين —
اذاً فافسقي ، افسقي !

آه افسقي افسقي !
في الصدر قلبٌ يتصدّع !

هل تذكرين ، كاتكا ، ذلك الضابطَ ؟
لم ينجُ من مديتي ...
ام ، ايها الطاعون ، قد نسيتِ ،
ام ان ذاكرتك لم تعد منتعشة ؟

آ انعشيني ايضا انا !
ادخليني واياكِ الفراش !

كنتِ تلبسين طماقا رماديا ،
وتلتهمين اجود اصناف الشكولا .
مع الملازمين كنتِ تفسقين —
والآن مع الانفار ؟

آآ افسقي ما طاب لكِ ،
تجلبي لروحك الراحةَ !

(٦)

من جديدٍ ترمح نحوهم
مركبةٌ تزعق وتصيح ...
قفْ ، هناك ، قفْ ! اندروكا ، اغثْ !
بتروشا ، خذْهما من الخلف ...

طاخ طاخ طاخ طاخ طاخ طاخ !
ويتعالى نديفُ الثلج نحو السماء ...

الحوذي يولي مفلتا — وفانكا ...
مرةً اخرى ! اطلقوا الزناد !

طاخ طاخ طاخ طاخ . ستتعلم بذا
. . . . . .
كيف تصطحب واياكَ فتاةَ سواك !

لقد نجا الوغد . انما انتظرْ
سأسدّد حسابكَ غدا !

لكن اين كاتكا ؟ — ماتت ! لقد ماتت !
اخترقت رأسَها الرصاصة !

مبسوطةٌ ، كاتكا ؟ — لا صوتَ لا نأمةَ ...
استلقي هناك ، على الثلج ، ايتها الجيفة ...

سيروا بخطىً ثورية .
الغدو لا يكلُّ لا ينام .

(٧)

ومن جديدٍ يتقدم الاثنا عشر ،
وعلى اكتافهم البنادق .
سوى القاتل المسكين ـ
يحجب وجهه عنا .

اسرعَ فأسرع
يحثّ خطاه ،
حول عنقه يلتفّ شال .
ليس في وسعه ان يتناسى ما فعل .

«ما خطبكَ ،ايها الرفيق ؟لماذا تكتئب؟»
« ما الذي يلجم فاكَ ، ايها الصديق ؟ »
« بتروشا ، لماذا هذا الوجه العبوس ؟ »
« ام تملكتْك على كاتكا الشفقة ؟ »

« آه ايها الرفاق ، يا اعزّائي ،
كم كنت احبّ هذي الفتاة !
كم ليلةٍ دكناءَ ، كم ليلةٍ سكرى ،
صرفتُ مع هذي الفتاة !

« من اجل الجسارةِ
بعينيها المتوقدتين اللعوبتين ،
من اجل الشامة القرمزية
قرب كتفها اليمنى ،
فتكتُ بها ، انا الاحمق ،
فتكتُ بها في سورة من غضب » ...

« كفّ عن هذا الوتر ، ايها التعس .
ماذا ؟ أ مرأةٌ انتَ ، يا بتكا ؟ »
« أ تتقيأ نفسك ،
ماذا ؟ حذارِ ! »

« فكرْ بكبرياءك ! »
« سيطرْ على ذاتك ! »

«ليس هذا بالوقت الذي نستطيع فيه
ان نعتني بك وندللك !
امامنا اعباءٌ اشدّ ثقلا ،
ايها الرفيق العزيز ! »

ويبطىء بتروشا
خطاه السريعة ...

ويقذف برأسه عاليا ،
ويعاوده المرح ...

اجل ، اجل
قليلٌ من اللهو ليس بالاثم !

اغلقوا ابواب بيوتكم ،
جاء دور السلب والنهب !

افتحوا اقباء الخمور ـ
انه كرنفال الفقراء !

(٨)

حزنٌ مرير !
سأمٌ مضجرٌ ،
قاتلٌ !

الوقتَ
سأقضي ، سأقضي :

رأسي
سأحكّ ، سأحكّ .

« بالبزورَ
سأفصفص ، سأفصفص .

« بالمدية
سأشطّب ، سأشطّب .

« لا ، ايها البرجوازي ، مثلَ دوري !
سأجرع دمك
« مخبَ حبيبتي
السوداءِ الحاجبين .

رحماكَ ، يا ربّ ، على نفس عبدك !
ايّ سأم !

(٩)

ضوضاء المدينة قد خفتت
وخيّم الهدوء على برج نيفا .
ولا اثر لشرطي ـ
فامرحوا ، ايها الشباب ، ولا يثقلكم
ضميرٌ آثمٌ .

البرجوازي واقفٌ عند مفرق الطرق
يدفن انفه في ياقته .
الى جانبه ، ملتصقٌ به ، كلبٌ قميء
اشعثُ الشعر وذيله متهدّل .

يقف البرجوازي مثلَ كلب جائع ،
صامتا يقف كعلامة سؤال .
والعالم القديم يقف من خلفه ،
مثل كلب من غير مأوى ، ذيله بين رجليه .

(١٠)

عاصفة الثلج تثور ،
آ ، ايتها العاصفة ، ايتها العاصفة !
يستحيل على المرء ان يرى امرءا
على بعد خطُوات اربعٍ .

يتلوى الثلج في شكل قمع
ويتعالى كعمود .

« انقذْنا ، يا ربّ ، ما هذه العاصفة ! »
« كفّ ، بتكا ، عن ذلك الهذر !
من اي شيء انقذتك
تلك الايقونة المذهّبة ؟
حقا انك من دون فكر ابدا ،
حاول ان تفكر ، ان تتعقل ـ
كأن يديك ليستا ملطختين بالدم
من اجل حبك لكاتكا ! »
سيروا بخطىً ثورية !
العدو لا يكلّ ، قريب !

الى الامام ، الى الامام ، الى الأمام ،
ايها العمال !

(١١)

... ويتقدم الاثنا عشر جميعا ، في البعيد ،
لا يحدوهم اسمٌ مقدّس .
متأهبين لكل شيء
غير مشفقين على شيء ...

على عدوٍّ لا يُرى
يصوبون بنادق الحديد ...
في الشوارع الثانوية المقفرة
حيث تدوّم وحدَها العاصفة ...
في كوم الثلج المزغبة

حيث تغوص قدماك .

علمٌ احمرُ
يخفق امامهم في العيون .

خطاهمُ المنتظمة
تدوّي نزنّ .

العدوّ الضاري
سيستيقظ الآن ...

وعاصفة الثلج تلسع اعينهم
اياما وليالي
من غير انقطاع .

الى الامام ، الى الامام ،
ايها العمال !

(١٢)

... يتقدمون في البعيد بخطىً جبارة .
« مَن المتواري هناك ؟ اخرجْ ! »
انها الريح . وعلمٌ احمرُ
يتثنّى في المقدمة .

امامهم كومُ ثلج .
« من المتواري هناك ، اخرجْ ! »
مجردُ كلبٍ جائع تعيس
يتثاقل اعرجَ في المؤخرة .

« ابتعدْ ، ولّ ايها الكلب الجَرِب ،
او ستعرف طعمَ الحراب !
ايها العالم القديم ، ككلبٍ جَرب ،
اختفِ ، ابتعدْ ، او سأسلخ جلدك عن
العظام ! »

...يكشف عن اسنانه ، كذئبٍ سَغِب ،
وينسلّ في المؤخرة ، لا يتلكأ .
كلبٌ بردان ، كلبٌ متشرد ...
« قلْ ، من هناك ؟ اجبْ ، من هناك ؟ »

« من الذي يلوّح بعلمٍ احمرَ في المقدمة ؟ »
« حدّقْ بامعانٍ ، ما احلكَ العتمة ! »
« من الذي يمشي هناك بخطىً متسارعة ،
ويتوارى بين البيوت ؟ »

« سنظفر بك ، على اي حال ،
خيرٌ لك ان تسلم نفسك ما دمت حيا ! »
« سترى ، ايها الرفيق ، العجَبالعجاب ؛
اخرجْ ، والا فسينهال الرصاص ! »

طاخ طاخ طاخ ! ومن ثمّ الصدى
وحدَه يرجّع في البيوت ...
وحدَها العاصفةُ تنفجرُ
مقهقهةً في الثلوج .

طاخ طاخ طاخ !
طاخ طاخ طاخ !

... للامام يتقدمون بخطىً جبارة
ومن خلفهم كلبٌ سَغِب ؛
في الامام ـ مع علمٍ في حمرة الدمِ
وخفيّا عن النظر وسطَ العاصفة
وبمنجاةٍ من رصاص البنادق ،
بمشيةٍ رفيقة فوق العاصفة
تتناثر فيها نُدَفُ الثلج كاللآلي ،
مكلّلا بباقةٍ بيضاءَ من ورود ـ
في الامامِ يمشي المسيحُ يسوع .

(١٩١٨)

آنا اخماتوفا (١٨٨٩-١٩٦٦)

صلاة على روح الموتى

اهداء

إمامَ هذا الحزن تطأطىءُ الجبال ،
يتوقف النهر العظيم عن الجري .
لكنّ قضبان السجن شديدة قوية ،
ومن خلفها « جحور السجناء »
والقلقُ القاتلُ .
للبعضِ تهفهف الرياح البليلة ،
للبعض يتوانى المغيب ـ
لكننا لا نعرفُ ، لا يتبدّلُ شيء لنا من
مكان لمكان ،
لا نسمع غيرَ صليلِ المفاتيح المقيت
وخطُواتِ الجند الثقيلة .
نفيق وكأنما لصلاة الصبح ،
نمشي خلال المدينة المتوحشة .
هناك التقينا ، اضعفَ انفاسا من الموتى ،
الشمسُ اوطا ونهرُ نيفا اشدُّ طلّا ،
وظلّ الرجاءُ يتغنى في البعيد .
الحكمُ ... وتندلق حالاً العَبَرات .
لقد انفصلتْ عنهم جميعا ،
في الم كأن الحياة انتُزعتْ من فؤاد ،
كأن لكمة وحشية قذفتْ بالمرء ارضا .
لكنها تظل تمشي... تترنح ...وحيدة...
اين هنّ الآن ، صديقاتي في القيود
صديقاتُ سنتيّ المبرّحتين ؟
ما الذي يتراءى لهنّ في عواصف سيبيريا ،
ايّ بصيص في هالة القمر ؟
اياكن ابثّ تحياتِ الوداع .

(١٩٤٠)

تمهيد

كان هذا زماناً لم يبتسمْ فيه
سوى الاموات ، وقد سرّتهم السكينة .
وتدلّت لنينغرادُ قرب سجونها
كبندولٍ لا حاجةَ له .
وعندما مشت كتائب السجناء
وقد افقدها عقلَها العذاب ،
وغنّت صفافيرُ القُطُر
اغنيةَ الفراق القصيرة ـ
وقفتْ فوقنا انجمُ الموت ،
وتقلصت روسيا البريئة
تحت الجَزَمات الملوثة بالدم
وتحت عجلاتِ عرباتِ السجون .

(١)

استاقوكَ عند الفجر .
مشيتُ وراءك ، وكأنما وراء نعش .
في غرفة مظلمة كان الاطفال ينشجون ،
والشمعةُ تذوب لدى التمثال المقدس .

على شفتيك كان صقيع ايقونة .
لن انسى العَرقَ القاتل على جبهتك .
كنساء «السنترَ لنتسي» سأولول
تحت ابراج الكرمِلين .
(١٩٣٥)

(٢)

الدونُ الهادىء يجري برفق ،
القمرُ الاصفر يدخل البيوت ،
يدخلُ وقبعته معوجّة ،
يرى القمرُ الاصفر ظلاّ .
هنا امرأةٌ ، معتلّة ،
هنا امرأةٌ ، وحيدة ،
زوجُها في القبر وابنُها في السجن .
صلّوا ، صلّوا لاجلي .

(٣)

لا ، لستُ انا التي اقاسي ، سواي تقاسي .
لم اكن لاستطيع ان اتحمل . اما الذي
جرى ،
فليغطّه كلّه غطاءٌ اسود
ولتحملْه بعيدا مصابيحُ الشوارعِ ...
ليـــل .

(٤)

لو انكِ أُريتِ ، ايها ذي التي تهوى التهكم
ويهواكِ اصدقاؤكِ اجمعون ،
يا آثمةَ «تسارْتسكوي سيلو» المرحة ،
ما الذي كانت تخبئه لك الحياة ـ
كيف ستقفين تحت اسوار سجن كرستي
وحزمتُك في يدك ، دورُك الثلاثمائة ،
وبدمعة حرّى
تثقبين جليدَ رأس السنة ـ
كيف تهتزين كشجرة الحور في السجن ،
من دون صوت ـ وكم حياةٍ
بريئةٍ تنتهي هناك ...

(٥)

سبعةَ عشر شهرا بكيت ،
وناديتُكَ لتعود .
القيت ذاتي على قدمي الجلاد .
يا ابني ، ويا رعبي معا .
كل شيء مشوّشٌ الى الابد ،
ولا اعرف بعد
مَن الحيوانُ الآن مَن الانسان ،
وكم من الوقت يبقى حتى موعد الاعدام .
لم تبقَ الا ازهرٌ غبراء ،
ومبخرةٌ ترنّ وخطىً
تقودُ من مكان للامكان .
وتحدّق في عينيّ بامعان
نجمةٌ هائلة
تهددني بموت وشيك .

(٦)

تتسارعُ الاسابيعُ خِفافا ،
لا ادري ماذا جرى .
كيف رنت الليالي البيضُ
اليكَ في سجنك ، يا بنيّ ،
كيف وهي ترنو من جديد
بعينٍ محمومةٍ كعين صقر ،

تتحدث عن صليبكَ العالي
وعن موتك .

(١٩٣٩)

(٧)

الحكم

وسقطت اللفظةُ من حجر
على صدري وكان لا يزال يخفقُ .
لا بأس ، كنتُ مستعدة ،
سأتدبر امري بشكل من الاشكال .

عليّ الكثير ينبغي اليوم ان افعله :
ينبغي ان استأصل الذاكرة ،
ينبغي ان اقلب روحي حجرا ،
ينبغي ان اتعلم ان اعيش من جديد .

والا ... سيخشخش الصيفُ القائظُ
تحتَ شباكي كيوم عيد .
لقد تنبأتُ منذ وقت طويل
بهذا اليوم البهيّ وهذي الدارةِ الخالية .
(١٩٣٩)

(٨)

الى الموت

ستأتي على كلّ حال ـ اذاً لماذا لا تجيئني
الآن ؟
انني بانتظارك ـ والانتظارُ صعبٌ عليّ .
اطفأتُ النور وفتحت الباب
لاستقبالك، ايها الفائق البساطة والبداعة .
تزيّ للمجيء باي هيئة شئت ،
اندفعْ داخلا كقنبلةٍ سامة
او ازحفْ كلصٍ محنّك مسلّح
اوسمّمني بابخرة التيفوس ،
او بوشايةٍ ما اختلقتَها ،
مألوفةٍ تُلعي النفوس ـ
كيما ارى قمةَ قبعةٍ زرقاء
ووكيلَ البناية شاحبا من الذعر .
كلّه واحدٌ الآن لي. «الانيسي» يدوّم .
نجمُ القطب يشعشع .
فزعٌ اخيرٌ يغطّي
الوميضَ الازرقَ في المآقي الحبيبة .
(١٩٣٩)

(٩)

الجنونُ قد غطّى
بجناحيه نصفَ روحي ،
يلاحقني بالخمور الملتهبة ،
يستجرّني الى الوادي الضيّقِ .

ادركتُ ان عليّ
ان اسلّم بالنصر له ،
وانا اصغي لهذياني
وكأنه هذيانُ آخر .

لا يسمح لي
بأخذ شيء ما معي
(مهما تضرّعت
او ازعجته بالتوسّل) :

لا عينَي ابني المرعبتين ـ
العذاب انقلب حجرا ـ
ولا اليوم الذي هبّت به العاصفة ،
ولا ساعة زيارات السجون ،

لا برودةَ الايدي العزيزة ،
ولا ظلال الزيزفون المترجرجة ،
ولا الصوت الخفيف البعيد —
كلمات العزاء الاخير .

(١٩٤٠)

(١٠)

« لا تنوحي عليّ ، امي ،
انا في القبر ».

(*)

جوقة الملائكة قد تغنّت بالساعة العظيمة ،
والسماءُ تذوب بالنار .
قال للآبِ : « لماذا تركتَني ؟ »
وللأمِّ : « لماذا تبكين لاجلي ؟ »

(**)

الجدليةُ تلوّتْ وناحتْ ،
التلميذُ المفضّل صار من حجر ،
ولم يجرؤ احدٌ ان يلتفت
الى حيث وقفت الأمُّ من دون كلام .

(١٩٤٠ – ١٩٤٣)

خاتمة

(*)

لقد عرفتُ كيف ترتخي الوجوه ،
كيف يوصوص الخوف من تحت الجفون ،
كيف يخطّ العذاب على الخدود
احرفاً مسمارية وعرة ،
كيف تتحول الخصلُ الشقراء والسوداء
فضّيةً على حين فجأة ،
تذوي البسمةُ على الشفاه الصاغرة
ويرتجف الذعرُ في الضحكة الناشفة .
واصلّي لا لاجلي ليس الا
بل لسائر اللواتي وقفن هناك معي ،
في الصقيع المبرّح وفي قيظ تموز ،
تحت الجدار الاحمر الذي سُملت مقلتاه .

(**)

ساعةُ التذكار تأتي من جديد .
اراكنّ ، احسّ بكنّ ، اسمعكنّ ،
جميعا :

تلك التي كادت تُجنّ ،
وتلك التي لم تعد تتمشى بارض الوطن ،

وتلك التي قالت، وهي تهزّ برأسها الجميل:
« اجيء هنا وكأني اجيء بيتي » .

وددتُ لو اسميهنّ واحدةً واحدة
لكنهم انتزعوا القائمة ، ولامكان استعلم فيه .

لقد نسجتُ لهن كفناً عريضا
من الكلمات الحزينة التي سمعتُهن يقلنها عرضاً .

اتذكرهنّ دوما ، وفي كل مكان ،
ولن انساهنّ ولو حلّت كارثةٌ من جديد

وكمّوا فمي المعذّب ،
الذي يبكي عن طريقه شعبٌ من مائة مليون .

وليذكرنني هنّ ايضا
عشيةَ تذكاري .

وإنْ يوماً قرروا في هذي البلاد
ان يقيموا نصبا لذكري ،

ني سأوافق على التكريم هذا ،
كن بشرطٍ واحد ـ الا يقيموه
بَ البحر حيث وُلدت :
خر اواصري مع البحر انقطعتْ ،
ولا في حديقة القيصر عند القرمة المقدسة
حيث يفتش عني ظلٌّ لا يتعزى ،
بل هنا ، حيث وقفتُ ساعاتٍ ثلاثَ مائة
وحيث لم يفتحوا لي المزاليج .
لاني حتى في الموت المطوّب اخاف

ان انسى قعقعةَ عربات السجون ،

ان انسى البابَ الكريه كيف صفق
والمرأةَ العجوز ولولتْ كوحش جريح .

ومن الجفون الحجرية الجامدة
فلينسكبِ الثلجُ الذائبُ كدموع ،

ولتهدلْ حمامةُ السجن في البعيد ،
وتنسَبِ السفنُ برفقٍ في نهر نيفا .
(١٩٤٠)

بوريس پاسترناك (١٨٩٠ - ١٩٦٠)

هـــــامْلـــت

الهمهمةُ خفتتْ . خرجتُ على الخشبة .
اتكأتُ على كنف الباب ،
ورحتُ اتقصى في الدويّ البعيد
ما سيجري في حياتي .

غبشُ الليل يُسلّط عليّ
من خلال الفِ نظارةِ مسرح .
لو كان هذا ممكنا فحسب ، يا ابا الآب ،
خذْ هذه الكأسَ عني .

احبُّ مخطّطكَ العنيد
واوافق ان العب الدور هذا .
لكن مسرحيةً اخرى يجري الآن تمثيلها ،
لذا اطلقْ سراحي هذه المرة .

لكنّ ترتيب المشاهد قد تقرر ،
ونهاية الطريق محتّمة .
وحدي انا ، كل شيء يهوي في الاكاذيب .
ان تحيا الحياةَ ليسَ كأنْ تجتازَ حقلا .

ڤلاديمير مياكوڤسكي (١٨٩٣ - ١٩٣٠)

غيمة ترتدي البنطلون

فكركَ ،
السارحَ فوق دماغ مبلّد
كخادم بدين فوق سرير ملوّث ،
سأحرقص بقطعة دامية من فؤاد ؛
واشبع هزءي واحتقاري السليط .

ليس في روحي شعرة واحدة شائبة ،
ولا فيه حنوّ الشيوخ !
اهزّ العالم بجبروت صوتي ،
وامشي ـ وسيما
ابنَ اثنين وعشرين عاما .

ايها الصحبُ اللطاف !
تلعبون الحبّ على الكمان ،
ويلعب الاجلاف الحبّ على طبل صغير .
لكنكم لا تستطيعون ان تقلبوا انفسكم ، مثلي ،
وتضحوا شفاها ليس الا !

تعالوا وتعلّموا ـ
ايها المأمورون المتأنقون في العصبة الملائكية ،
في قماش الصالونات الرفيع .

انتِ ايضا ، يا من تقلّبين شفتيكِ
كما يقلّب طباخٌ صفحاتِ كتاب طبخ .

ان شئتَ
سأحتدُّ ، جسمي سيثور ؛
او ، مثلَ سماء تبدّل لونها ،
ان شئتَ ،
سأضحي لطيفا طاهر الذيل ،
لا رجلا ، بل غيمة ترتدي البنطلون !

انا لا اومن بوجود « نيسٍ » مزهرة !
من جديد يمجّدني في الاغاني
رجالٌ مجعلكون كاسرّة مستوصفٍ ،
ونساءٌ منهكاتٌ كأمثالٍ سائرة .

(١)

تظنها الملاريا تجعلني اهذي ؟

هذا ما حدث .
في اوديسا حدث .

« سآتي في الرابعة » ، قالت ماريا .

الثامنة .
التاسعة .
العاشرة .

اعرض المساءُ
عن النوافذ
وغاص في الليل الكئيب ،
مقطباً
ككانون .

عند ظهري المتداعي
قهقهت الشمعداناتُ ، حمحمتْ .

لن تعرفوني الآن :

ضخمة من العروق ،
:
وى .
يمكن لهذه الكتلة ان تريد ؟
هذه الكتلة تريد الكثير !
فرق عندي
اكون من بُروْنز
يكون قلبي من حديدٍ باردٍ .
الليل لا ابغي سوى
اخفي ناقوسي في الطراوةِ ،
الانثى .
هكذا ،
فتُ منحنيا عند النافذة ،
دّبت زجاجها يجبيني .
يكون حبّ ، او لا يكون ؟
ثقن اي نوع ؟
بيرٌ ام صغير ؟
بيرٌ ، كيف ، في جسم كهذا ؟
غيرٌ لا شك،
بٌ طفوليّ وديع .
ر من صفير السيارة ،
ن الاجراس على الخيول .
بعد مرة
ن وجهي
وجه المطر المنقّر
ظر ،
طشني مياهُ المدينة المرعدة .

منتصف الليل يندفع يحنون يقذف مديته ،
لحق بها ،
فتك بها –
اخرجوها !

وقعت القرعة الثانية عشرة
مثل رأسٍ من مقصلة .

على زجاج النافذة قطراتُ المطر الرمادية
ولولتْ معا ،
تكوّمتْ كعبسة ،
كما لو كانت التماثيلُ المرعبة في
نوتردام تولول .

لعنة الله عليكِ !
ألا يكفي هذا ؟
ان الزعيق سيمزّق فمي سريعا .

وسمعتُ ،
برفق ،
عصباً يقفز
كمريض من فراشه .
ومن ثمّ
تمشّى اول الامر
وهو يكاد لا يتحرك ،
وبعدها راح يجري
باضطراب
وثقة .
والآن يندفع هو واثنان آخران ،
في رقصة طائشة .

الجبسُ في الطابق الارضيّ تحطّم .

اعصاب ـ
كبيرة ،
صغيرة ،
من كل نوع ! ـ
ترمحُ مهتاجةً
وسرعان ما
هوت ارجلُها .

والليل ينزّ وينزّ في الغرفة ،ـ
والعينُ المثقلة لا تستطيع الانسحاب من
النَزَز .

وفجأةً صفق الباب ،
وكأن اسنان الفندق
تصطكّ .

ودخلتِ بفظاظة
مثلَ « استمعْ لي ! »
وقلتِ
وانت تنشبين اظفارك في القفاز الجلديّ :
« أتعرف ـ
سأتزوج » .

طيّب ـ تزوجي .
وإنْ .
استطيع ان اتحمل ذلك .
ترين مقدار هدوءي !
كنبض
جثة .

تذكرين ؟
كنتِ تقولين :
« جاك لندن ،
المال ،
الحب ،
الهوى » ـ
لكنني شيئا واحدا رأيت :
انتِ جيوكندا ،
لا بدّ من ان تُسرَق !

وسُرقتِ .

سأقامر من جديد وقد عاودني الحب ،
وقوسُ حاجبي يتوقد .
وإنْ !
في البيت المحترق
يجد المشردون مأوى لهم احيانا !

تحرقصينني ؟
« اقلّ مما للمتسول من ملاليم
لديكَ من زمرّد الجنون » !
لكن تذكري
ان بومبي انقرضت
عندما حرقصوا فيزوفيوس !

ايه !
ايها السادة !
هواةَ
انتهاكِ الحُرُماتِ
والجرائم
والمجازر ـ
هل رأيتمُ
الهولَ الاشدّ ـ
وجهي
عندما
اكون

[illegible] الهدوء ؟

[illegible]
[illegible] « انا »
[illegible] جدا عليّ .
[illegible] شخصٌ من داخلي بعناد .

[illegible] !
[illegible] المتكلم ؟
[illegible] ؟
[illegible] !
[illegible] مريض بروعة !
[illegible] !
[illegible] بنار في الفؤاد .
[illegible] اختيه ليودا واوليا
[illegible] ليس له من ملجأ يفيء اليه .
[illegible] لفظة
[illegible] مزحة
[illegible] فمه المشعوط ،
[illegible] كومس عارية
[illegible] مبغىً يحترق .

[illegible] الناس
[illegible] اللحم المحترق !
[illegible] قادمين ،
[illegible] تتألق !
[illegible] الخـوَذ !
[illegible] الطويلة غير مسموح بها هنا !
[illegible] للاطفائيين
[illegible] عندما المحروقُ قلب .
[illegible] عليّ .
[illegible] الدمع من عينيّ بالبراميل .

سأسند نفسي الى ضلوعي .
سأقفزُ ! اقفزُ ! اقفز !
انهيار .
لن تستطيع ان تقفز خارج القلب !

من شقوق الشفتين
في وجه محترق
ترتفع قبلةُ جمرٍ لتقفز .

ماما !
ليس بوسعي ان اغني .
في كنيسة قلبي الجوقةُ الآن تتمرّن .

اجساد الالفاظ والحروف الصغيرة المحترقة
تفرّ من الجمجمة
كأطفال من بناية تشتعل .
هكذا الخوفُ ،
اذ سعى ان يتمسك بالسماء ،
رفع للعلاء
ذراع « لوزيتانيا » المشتعلة .

في هدوء شقّة
يرتعد فيها الساكنون ،
ينفجر من الميناء لهيبٌ بمائة عين .
ايتها الصرخة الاخيرة
تأوهي على الاقلّ
على مدى العصور : انا احترق !

(٢)

مجّدوني !
ليس العظماء باندادي .
على كلّ ما تمّ فعله

اضعُ خاتمَ « عَدَم » .

لا ابتغي ابدا
ان اقرأ اي شيء .
الكتب ؟
ما الكتب ؟

كنتُ فيما مضى اظنّ
انه هكذا تُصنع الكتب :
يجيء الشاعر
ويفتح شفتيه بخفّة ،
وحالا ينفجر الاخرقُ الموهوبُ بالغناء ـ
ان طاب لك .
لكنِ الواقعُ
انهم قبل ان يشرعوا بالغناء
لا بد لهم ان يذرعوا الارض طويلا ، على
اقدامهم المتورمة ،
وسمكةُ الخيال البعيدة
تغوص برفق في حمأة القلب .
وبينما يغلون ، بقوافيهم المزقزقة ، مَرَقةً
من الحب والبلابل ،
يتلوى الشارع فحسب ، من غير لسان ،
وليس لديه شيء يصيح عنه او يتكلم عليه .

بكبرياءٍ نُشيد من جديد
ابراجَ بابلَ في المدن ،
لكنِ اللهُ
يبلبل الالسنَ
يقلبُ
المدنَ مراعي .

دفع الشارعُ العذابَ بصمت .
وقفت الصرخةُ منتصبة في الحلق .

التاكسياتُ المنتفخة والعربات النحيلة
جفلتْ وانحشرتْ في الحلق .
داس المشاة صدري
فرطحوه اكثر من داء سلّ .

اقفلت المدينةُ الطريقَ بالظلام .

لكن عندما ـ
مع هذا ! ـ
نفث الشارعُ الزحامَ على الساحة ،
دافعا الرواقَ الذي كان يدوس على حلقه ،
خيّل للمرء :
في صالةِ ترنيمِ رئيس الملائكة ،
يتقدم اللهُ السليبُ ليكيل القصاصْ .

لكن الشارع اقعى وصاح :
« لنذهبْ ونفرطْ في شرابنا والطعام ! »

كَروبسُ والكَروبسونَ الصغارُ يرسمون
على المدينة تجعيدةَ حاجبين متوعدين ،
وفي الفم
تتعفن جثثٌ صغيرة لكلمات ميتة ،
اثنتان فحسب تنجوان ، تسمنان ـ
« الطغام » ،
واخرى
لعلها ـ « بورش » .

الشعراء ،
المنقوعون بالانين والنشيج ،
ينأون عن الشارع ، يكتنفشون الشعور !
« كيف بمثل هاتين نغني
فتاةً
وحباً

...نضرة يغطيها الندى ؟ »

...ي إثر الشعراء ـ
...لاف من ابناء الشارع :
...طلاب ،
...ومومسات ،
...ومشعوذون .
...وبرء
...قفوا !
...ايها السيدات والسادة !
...لستم بالمتسولين ،
...كيف تجرؤون على الاستعطاء !
...نحن الجبابرة
...ذوي الخطوات الشاسعة ،
...يجب الا نعيرهم اذنا ، بل ان نمزّقهم ـ
...م ،
المتشبثين مجانا
...بكل سريرٍ مزدوج !

...أنتوسل اليهم باتضاع :
...« ساعدونا » !
...نطلب ترنيمةً
او خطابا !
...نحن ذاتنا خلاّقون في ترنيمة ملتهبة ـ
...ضجيجِ المصانع والمعامل .

...ما فاوستُ بالنسبة لي ،
...في عرضٍ سحريٍّ لالعاب نارية
...يتزلق ومفيستو على ارضيةٍ علوية !
...انا اعرف ـ
...مسمارٌ في حذائي
...اعمرُ بالكوابيس من خيالات غيته .

انا ،
فم الذهب الاصفى ،
الذي كلّ كلمة من كلماته
تهبُ الروحَ ميلادا جديدا ،
تهبُ الجسمَ يوما يسمّى كقدّيس باسمه ،
اقول لكم :
ان اصغر ذرّة في الحياة
اثمنُ من كل ما فعلتُ ، ما سأفعل !

استمعوا !
زردشتُ الوقتِ الحاضرِ السليطُ اللسان
هو الذي يعظ ،
وهو يتنقل متأوها من مكان لمكان !
نحن ،
ووجهنا كشرشفٍ متغضن ،
وشفتانا تتدليان كثريّا ،
نحن ،
مساجين مدينة الجذام ،
حيث الذهب والقذارة بزّرا قروح البرصى ،
نحن انقى من زرقة البندقية ،
يغسلها البحر والشمس معا !

لا يعنيني بشيء
ان هوميروسَ واوفيدَ لم
يخلقا اشخاصا مثلنا ،
مجدّرين من السخام .
اعرفُ
ان الشمس ستُعتم ، إنْ رأتْ
حقولَ ارواحنا الذهبية !

العضلاتُ والاعصاب موضعُ ثقةٍ اكثرَ
من الصلوات .

••

أنطلب صدقةً في وقت كهذا !
نحن ـ
كل واحد منا ـ
نمسك في قبضتنا
بالازمّة التي تسيّر العالم !

هذا قاد الى جلجثتي في قاعاتِ
بتروغرادَ وموسكو واوديسا وكييف ،
حيث لم يكن امرؤٌ
الا
وصاح :
« اصلبوه ،
اصلبوه ! »
لكنكم ـ
ايها الناس جميعا ،
واولئك حتى الذين اساؤوا اليّ ـ
اعزُّ عليّ ـ اغلى عليّ ، من كل شيء .

هل رأيتم
كيف يلحس الكلب اليد التي ضربته ؟!

انا ،
الذي يسخر بي اقوامُ هذا الزمان
كنكتةٍ طويلةٍ
وسخة ،
اشهد ذاك الذي لا يراه احد
يجتاز جبال الزمان .

حيث اعينُ الناس تقف ،
على رأس حشود جائعة
تأتي السنة السادسة عشرةَ
في تاج الثورة المصنوع من شوك .
وانا سابقهُ ، في وسطكم ؛
حيث الآلام انا ـ في كل مكان ؛
على كل قطرة من مجرى الدموع
سمّرتُ ذاتي على الصليب .
ليس هناك ما اغفرُ .
قد كويتُ الارواحَ حيث الحنوُّ نبَت .
اشقُّ هذا من اخذِ
الفِ الفِ باستيل .

وعندما
تخرجون للاقاة المخلّص ،
وانتم تعلنون قدومَهُ
بتمرّد ـ
فاني
سأقتلع روحي ،
ادوسها بشدة
الى ان تتسع ـ
واقدّمها مدمّاةً مثلَ راية .

(٣)

آه ، من اين هذا ،
كيف تمّ ،
على البهجة المشرقة
رُفعت القبضاتُ القذرة ؟

جاءت ،
وغلّفتْ باليأس رأسي
افكارُ مستشفى مجانين .

و ـ
كما تغرق مدرعةٌ كبيرة
ويغطس الناس في تشنّجات مختنقة
خارجَ كوة مفتوحة ـ
هكذا زحف بوليوكُ

ان تشقّ العالم في الجمجمة

انت
يا من يشغل بالك السؤال :
« أراقصٌ رشيقٌ انا ؟ »ـ
انظرْ كيف اتمتع بالحياة ،
انا ـ
قوّادٌ ونصّابٌ
حقير !

عنكمُ ،
ايها المنقوعون في الحب
والذين يسيل دمعكم
عبرَ القرون ،
سأبتعد ،
واضعاً الشمسَ نظارةً مفردة
في عينيَ الفاغرة .

سألبس لباسا غريبا ،
واجول في الارض ،
لأُرضي واحرق ،
وامامي
اقود نابليونَ مقيداً مثلَ كلب .

الارض بأسرها ستستلقي كامرأة،
كتلةً من اللحم النابض ، الموشكِ على
منح ذاته ؛
وستُبعث الحياة في الاشياء ـ
وشفاهُ الاشياء
ستلثغ تلثغ :
« تساتسا تسا ! »

وفجأةً
تنقلب الغيومُ

واشياء اخرى غائمة
بجنونٍ في السماء ،
كأن عمالا في لباس ابيضَ قد تفرقوا
وقد اعلنوا للسماء اضرابا غاضبا .

وانطلق الرعد كوحش من احدى الغيوم ،
ينفخ بمنخرين هائلين بقوة ،
والتوى للحظةٍ وجه السماء
بتقطيبةِ بسماركَ الحديديّ المتجهمة .

وواحدٌ ،
عالقٌ في شرك الغيوم .
مدّ يديه لمقهى –
وبدا مؤنثا لحدّ –
ورفيقا لحدّ ،
ومثلَ عربةِ مدفعٍ لحدّ .

تظنّها
الشمس تُربّت
خدّي المقهى بحنوّ ؟
انه الجنرال غليفيه
زاحفا لحسد الثائرين !

انزعوا ايديكم من جيوبكم ،ايها السائرون –
والتقطوا حجرا ، او مديةً ، او قنبلة ،
وان كان ايٌّ من دون يدين –
فليتقدمْ وليقاتلْ بجبينه !

للامام ايها الجائعون ،
الكادحون ،
الصاغرون ،
الذين تعفنتم في اوساخ ملآنة بالبراغيث .

للامام !

ايام الاثنين والثلاثاء
سنلوّنها بالدم نقلبها ايامَ اعياد !
لتتذكر الارضُ ، على حدّ المدى ،
اولئك الذين شاءت ان تحقّر !
الارض ،
المنتفخة كعشيقة
غازلها روتشيلد وهجرها من بعد !

كيما تخفق الاعلام في حميّا المدافع ،
كما في كل يوم عيد مهم –
عاليا ارفعي ، يا عواميدَ المصابيحِ في الشوارع ،
جثتَ تجار الحبوب الدامية .

شتمتُ ،
توسلتُ ،
قتلت ،
اندفعتُ خلف واحدٍ
لاسدّد له اللكمات .

في السماء الحمراء كالمرسيز ،
ارتعد الغروب المحتضر .

حلّ الجنون .

لن يحدث شيء .

سيأتي الليل ،
يُعمل اسنانه فيك ،
ويلتهمك .

انظرْ –
هل تلعب السماء دور يهوذا من جديد
بحفنة من النجوم المطرطشة بالخيانة ؟
حل المساء .

جلس للاكل مثل «ماماي» ،
ومؤخرته مستقرةٌ فوق المدينة .
هذه الليلةَ لن تضعفَ عيوننا ، تستسلمَ ،
سوداءَ مثل ازيف !

انزوي ، مرتمياً في قرنةِ خمارة ،
والخمر تنصبّ على روحي وعلى غطاء الطاولة ،
وارى :
في احدى الزوايا ـ عينين مستديرتين ، ـ
عيني ام الاله ، تقرضان الفؤاد .
لماذا تمنحون هذا البهاءَ التراثيّ المصوّر
لهذه الدهماء في الحانة ؟
انظرْ ـ انهم من جديد
يبصقون على المعلّق في جلجثة
ويفضلون بارباسَ عليه .

عن عمدٍ ، ربما ،
في هذا الحشد البشري
لا يختلف وجهي عن اي وجه .
انا
الاجمل
ربما
من جميع ابنائكم .

أعطِهم ،
هؤلاء المتعفنين بالسعادة ،
زمانَ موت سريع ،
لينمو الاظفال ،
الابناءُ ـ آباء ،
والبناتُ ـ حبالى .

ولينبت للاطفال الجُدُد
شعرٌ شائب كشعر المجوس ،
وسيأتون ـ
وسيعمّدون الاطفال ويسمّونهم
باسماء اشعاري .

انا ، الذي تغنيت بالآلة وبانكلترا
لعلي بكل بساطة
الرسولُ الثالث عشر
في انجيلٍ اعتيادي .

وعندما صوتي
يلعلع بفجور ـ
فمن ساعة لساعة
طوالَ اليوم كله ،
قد يتنشّق يسوع المسيح
زهَراتِ روحي .

(٤)

ماريا ! ماريا ! ماريا !
دعيني ادخل ، يا ماريا !
لا استطيع ان اتحمل الشوارع !
ترفضين ؟
تنتظرين
الى ان ينحلَ خدّاي ،
الى ان اجيء ،
وقد تذوّقني الجميع ،
غثّا ،
واتمتم من غير اسنان
اني اليومَ
« شريفٌ لحدّ مدهش » .

ترين ،

يا ماريا ـ
قد بدأتُ انحني .

في الشوارع
سيثقب الناس الدهنَ في الغدد الرباعية
المتضخمة ،

ويفنجرون عيونَهم الصغيرة
اضنتْها اربعون سنة من الضجر ـ
كي يتمسخروا
على انّ بين اسناني
ـ من جديد ! ـ
رغيفا قاسيا من مداعبات البارحة .

ينوح المطر فوق كل الارصفة ،
الازعر المأسور ببركة ماء المطر ،
المبلل من الرأس للقدم ، يلحس جثةَ
الشارع المرجومة ،

وعلى اهدابه الشائبة ـ
اجل ! ـ
على اهداب خيوط الجليد المتجمدة
يتدفق الدمع من عينيه ـ
اجل ! ـ
من عيون البواليع المتهدلة .

خرطوم المطر مصّ كلّ المشاة ،
لكنّ الرياضيين السمانى مرّوا مشرقين في
العربات :

وانفجر الناس
وقد ازدُردوا ازدرادا ،
ونزّ الشحم خلال الشقوق ،
وسالت من العربات في جدولٍ عكرِ
جرّةُ لحمٍ بايتٍ مدقوق

هي ولبُّ رغيفٍ قد عُلك .

ماريا !
كيف اعصر كلمةً لطيفة في آذانهم المتورمة؟
العصفور
يتسوّل
بالاغاني ،
جائعا ومجلجلا .
اما انا فانسانٌ ، يا ماريا ،
اعتيادي ،
تقيأني الليلُ المبلول على يد حيّ «بر سَنْيا»
القذر .

أتريدين انسانا كهذا ، يا ماريا ؟
دعيني ادخل ، ماريا !
باصابع مرتعشة سأضغط على الحلق الحديدي
للجرس !

ماريا !

سيارات الشوارع تطفر كالوحوش ،
تضغط الاصابعُ رقبتي ، تترك عليها علامات .

افتحي !

قد أُصبت !

انظري ـ عيناي شكتْها
دبابيسُ شعرِ نساء !

ادخلتِني .

حبيبتي !
لا ترتعبي
إنْ على كتفيّ ككتفيْ ثور ،
اقعى جبلٌ من النساء ، تنضح بطونهنّ
بالعَرَق ـ

انا اجرجر خلال الحياة
مليونَ حبٍّ هائل نقيّ
ومليونَ مليونِ حُبيبٍ صغير قذر .
لا ترتعبي
إنْ من جديد
في قسوة الخيانة ،
تمسّكتُ بآلاف الوجوه الجميلة ـ
« التي تعبد مايا كوفسكي ! » ـ
فهذي سلالة
من الملكات اللاتي اعتلين قلبَ مجنون .

ماريا ، اقتربي اكثر !

سواءً بعريٍ ولا خجل
او بارتعاش وخوف ،
امنحيني روعة شفتيك المزهرةَ ابدا :
انا وقلبي لم نعش حتى ايارَ قط ،
وفي ما قضيتُ من حياتي
ليس من نيسان الا واحدٌ من مائة .

ماريا !
شاعر السونيتات يتغنى بتيانا ،
اما انا ـ
فكلي لحم ودم ،
وبشرٌ من فوق لتحت ـ
لا اطلب الا جسدك ،
كما يصلي النصارى :
« خبزَنا كفافَنا
اعطِنا اليوم ! »

اعطني ـ يا ماريا !

ماريا !
اخشى ان انسى اسمك
كما يخشى شاعرٌ ان ينسى
لفظةً ما
تولدُ في عذاب الليل ،
جبروتُها جبروتُ الاله .

جسدَكِ
سأحرس سأحب ،
كما يحرس جندي
بُترتْ ساقه في الحرب ،
لا صديق له
ولا يسأل عنه احد ،
يحرس ساقَه الباقية .

ماريا ـ
ألا تقبليني !
لا تقبليني !

ها !

ثم ـ من جديد
مغتماً ومنكسرَ الخاطر
سآخذ قلبي
ساكباً عليه الدموع
لاحمله ،
كما يحمل
كلبٌ
الى بيته
كفّا دهسته قاطرة .

بدمِ القلب افرّح الطريق
ويتشبث مزدهرا بمعطف الغبار .
الفَ مرة سترقص الشمس ،
حول الارض ،
مثلَ سلومي حول رأس المعمدان .

وعندما مجموعُ سني
ينجز رقصتَه ـ
مليون قطرة من الدم ستنتثر
على الممرّ الى بيت ابي .

سأزحف خارجا
متسخا (لصرفي الليل في الحُفَر) .
سأقف قربه جنبا الى جنب
وانحني
واقول له في اذنه :

اسمعْ ايها اللهُ ، يا رفيق!
ألم تسأمْ
ان تغمسَ عينيك الحنونتين كلَّ يوم
في هلام الغيوم ؟
فلنرتّبْ ـ لماذا لانرتّب ؟ ـ
دوّارةَ عيدٍ
على شجرة معرفة الخير والشر !

ستكون ، ايها الموجود في كل مكان ،
في كل خزانة .
وسنعمّر الموائدَ باطيب الخمور
لحدّ ان الرسولَ بطرسَ العبوس
سيرغب ان يخرج لرقص الكيكابو .
وفي الفردوس سنُسكن حواءاتٍ من
جديد :

مُرْ بذلك ـ
وسأحمل لك
الليلةَ هذه
مِن كافة الجاداتِ احلى الفتيات .

هل تريد ؟

لا تريد ؟

تهزّ برأسكَ ، يا اجعدَ الشَعر ؟
تعبس ، يا شائبَ الحاجبين ؟
تظنّ
ان هذا
المجنّحَ من وراءك
يعرف ما هو الحبّ ؟

انا ايضا ملاكٌ ، كنتُ ملاكا ـ
بعين حملٍ سكّريّ كنتُ احدّق ،
لكنيلا اريد ان اظل امنح الافراسَ
هدايا من اوانٍ مصبوبةٍ من « سيفرَ »
المعذّبة .
لقد ابتدعتَ ، ايها القادرُ على كل شيء ،
زوجاً من الايدي
ورتّبتَ
ان يكون لكل امرىءٍ رأس ـ
لكن لماذا لم ترتّبْ
بان يكون بوسع كل امرىءٍ منغيرعذاب
ان يبوسَ ويبوسَ ويبوس ؟!

خلقتُكَ إلها كبيرا قادرا على كل شيء ،
لكنك إلـيْهٌ ساذجٌ صغير .
انظرْ كيف انحني
واستلُّ سكينا
من اعلى حذائي .

ايها النصّابون المجنّحون !
افرنقعوا الى السماء !
انفشوا ارياشكم وانتم تهرعون راجفين !
سأبقر بطونكم يا من تفوحون برائحة
البخور ،
من هنا حتى الاسكا !

دعوني ادخل !

لا تستطيعون ايقافي .
انا مخطىءٌ ربما
او مصيب ،
لكنني في منتهى الهدوء .
انظروا ـ
لقد قطعوا رؤوسَ النجوم من جديد ،
ولوثوا السماء بدم المذابح !
اسمعي ، انتِ !

ايتها السماء !
اخلعي قبعتك !
ها انا قادم !

صَمَتَ .

الكونُ نائم ،
واضعاً اذنَه الضخمةَ على
كفّه ذي المخالبِ من نجوم .

(١٩١٤ ـ ١٩١٥)

سيرغي يسينين (١٨٩٥ - ١٩٢٥)

رسالة الى أمي

أما زلتِ حية ، يا عزيزتي الهرمة ؟
انا ايضا على قيد الحياة . تحياتي اليك ، تحياتي !
لينسبْ ذاك الضياءُ الفائق الوصف
ضياءُ المساء فوق كوخكِ .

يكتبون لي بانك تُخفين القلق
وتنوحين كثيرا عليّ ،
وانكِ غالبا ما تخرجين للشارع
في معطفك البالي العتيقِ الطراز ،

وانكِ في عتمة المساء المزرورقة
غالبا ما تتصوّرين الشيءَ ذاته ـ
تتخيلين امرءا ما في شجارٍ بحانة
قد غرز مديةً معقوفة فيّ تحت قلبي .

لا تقلقي ، يا اعزّ الناس عليّ ! هدّئي من روعكِ .
ليس هذا غيرَ حلمٍ منغّص .
لستُ بسكيرٍ مدمن فأموت
قبل ان اراكِ اولا .

ما زلتُ كما كنتُ حنونا
وحلمي الوحيدُ انْ
انجوَ سريعا من شقائي وتبرّمي
واعودَ الى بيتنا الواطي .

سأعود عندما الاغصانُ تنتشر
في حديقتنا البيضاء شأنها في الربيع .
لكنْ لا توقظيني عند الفجر
كما كنتِ تفعلين قبل ثماني سنين .

لا توقظي الاحلامَ التي اضمحلت ،
لا تزعجي ما لم يتحقق ، ـ
منذ وقت مبكر في الحياة
كان نصيبي ان اقاسي الكلالَ والخسارة .

ولا تعلميني كيف اتلو الصلاة . لا تفعلي !
ليس من عودة للماضي .
وحدَكِ انتِ عوني وعزاءي ،
وحدَكِ انتِ الضياءُ الفائق الوصف لي .

اذاً تناسي القلق ،
ولا تنوحي كثيرا عليّ .
لا تخرجي مرةً ومرةً للشارع
في معطفك البالي العتيقِ الطراز .

(١٩٢٤)

يفغيني اقتوشنكو (١٩٣٣-)

محـــادثـــة

يقولون لي :
« انتَ شجاعٌ يا رجل » .
ليس صحيحا .
لم اكنْ قط شجاعا .
كل ما هناك اني اعتبرُته عملاً لا يليق
ان انحني الى مستوى جبنِ اقراني .

انا لم اهزّ دعائم .
كل ما فعلتُ اني سخرت
من الادعاءات الكاذبة
والمبالغات .
كتبت ـ هذا كل شيء !
لم اكتبْ وشايات .
وحاولتُ ان اقول كل ما جال ببالي .
اجل ،
دافعتُ عن ذوي المؤهلات ،
ووصمتُ المزيفينَ ،
المصرّين على ان يكونوا ادباءَ .
لكنّ فعل هذا ، على وجه العموم ، فريضةٌ واجبة .
ومع هذا يتحدثون ابدا
عن شجاعتي .

حقا ان احفادنا سيذكرون بشعور مريرٍ
من الخجل ،
وهم ينتقمون من الخسائس ،
ذاكَ الزمانَ الغريب جدا ،
عندما
كان مجردُ الصدق يسمى « شجاعة » .

يفجيه قوزنسنسكي (١٩٣٣-)

غلوبيا

انا غويا !
فقأ الاعداء عينيّ من وقبيها ،
وقد انقضّوا على الساحة العارية .

انا الحزن .
انا صوتُ
الوغى . خرائب مدائنَ احترقتْ
في ثلج احدى واربعين .

انا الجوع .
انا عُنقُ
امرأةٍ مشنوقةٍ يتأرجح جسمُها ،
كجرَسٍ ، على الساحة العارية .

انا غويا !
يا عناقيدَ
الغضب ! لقد قذفتُ للغرب ـ
برفات ضيفٍ لم يدْعُهُ احد !
وفي نُصُب السماء دققتُ ، كمسامير ،
انجماً راسخة .

انا غويا .